جماعة أبولو
وأثرها فى الشعر المعاصر

بقلم
الدكتور / مصطفى رزق
الأستاذ المساعد بالكلية

جماعة أبولو وأثرها في الشعر المعاصر

تمهيـــد :

نشأت مدرسة شعرية نواتها طائفة من شباب الشعراء ذوى الطبع «الرومانتيكي»، والروح الغنائي، وقد أخذ هؤلاء من المدرسة «المحافظة البيانية» التى أسسها «البارودى» وتزعمها «أحمد شوقي» - الروح الشعرى الشفّاف والصياغة البيانية المشرقة، كما أخذوا من المدرسة التجديدية الذهنية التى دعا اليها « مطران» وأقامها المجددون المصر يون وتزعمها «العقاد» النظرة الشعرية، والميل إلى الوحدة العضوية كما اشتركوا مع أصحاب التجديد في الأخذ من المناهل الغربية عامة، والإفادة من «المدرسة الرومانتيكية» خاصة.

و «جماعة أبولو» من أهم مراكز هؤلاء الجدد، وكان تأليف هذه الجماعة بمنزلة إعلان قيام مدرستهم، وهي المدرسة الرومانتيكية الغنائية» التى كان من أعلامها المؤسسين: أبو شادى ، وابراهيم ناجي، وعلى طه، وأحمد رامي ، وصالح جودت .

وإذا كان «أحمد زكي أبو شادى» قد تحمسّ لمبادئها فإن «ناجـي » يعدّ من أركانها، وشعر ناجي يمثل المدرسة الرومانتيكية الغنائية أجمل تمثيل، وهو الشخصية البارزة بين شعراء تلك المدرسة، كما أن العقّاد يعّد من البارزين بين شعراء المدرسة التجديدية الذهنية، وشوقي بين شعراء المدرسة المحافظة البيانية..

والشعراء الغنائيون مولعون بالبحور الهادئة الموسيقى المهموسة الإيقاع كالرمل والهزج ونحوهما، والميل إلى تغيير القوافي في القصيدة الواحدة.

وناجى من أوائل الذين خرجو على وحدة البيت في القصيدة العربية، والتزام أن تكون كل الأبيات فيها متساوية في عدد التفاعل، وقد مثلت ملحمة «الأطلال» هذه الظاهرة أجمل تمثيل، فقد جعل بعض فقراتها على تفاعيل بحر الرمل تامًا، ثم جعل بعضها على نفس البحر بجزوءا، وانمّا فعل هذا ليلائم بين المضمون والشكل.

وناجى مع ذلك لم يقف عند هذا التجديد في موسيقى الشعر وإنّما جاوزه إلى النظم في بعض الأوزان التي لم يألفها الشعراء العرب التقليديون، على حين ظهـرت عنـد أصحاب الموشحات الأندلسين وفي ذلك التفات أنظارنا إلى نغم شعرى حلـو، وإثـراء لموسيقى القصيدة العربية بأنغام منوعة عذبة.

زمـــن تأسيسها

قامت جماعة «أبولو» في سنة ١٩٣٢ م ، وصدر العدد الأول من مجلة «أبولـو» في سبتمبر سنة ١٩٣٢م والعدد الثاني في نفس السنة يحمل أسماء أعضائها ومجلس ادارتها، وكانت مكونة من : أحمد شوقي رئيسا، وخليل مطران وأحمد محرم نائبي رئيس ، وأحمد زكي أبو شادى سكرتيرا، ومن اعضائها ابراهيم ناجى الذى صار وكيلاً لها بعد ذلك وكامل كيلانى، وسيد ابراهيم وعلى محمود طه، وحسن القاياتي، وحسن كامل الصيرفي.

لكن شوقي لحق بربه في ١٤ من أكتوبر سنة ١٩٣٢م ولذلك اجتمع الأعضاء وقرروا اختيار «مطران» رئيسا، وظلت الجماعة تقوم برسالتها ثلاث سنوات بعد أن استقال منها محود عماد وعلي محمود طه...

أهدافها

حدد أحمد زكي أبو شادى أهداف جامعة «أبولو» كالآتي:

١ ـ السمو بالشعر العربي وتوجيه جهود الشعراء توجيها شريفا.
٢ ـ مناصرة النهضات الفنية في عالم الشعر .
٣ ـ ترقية مستوى الشعر أدبيا واجتماعيا وماديا والدفاع عن كرامتهم.
٤ ـ إحلال التعاون والاخاء محل التنافر بين الأدباء.
٥ ـ محاربة الزعامات الأدبية، والتحزب الشخصي لشاعر معين أو أديب.

قال الدكتور أبو شادى في تشـكيل «جماعـة أبولـو»: محاربـة الزعامـات الأدبية، والألقاب الجوفاء المصطنعة ـ حتى ولو جرى العرف على التسامح بها.

وقد أشار الدكتور إبـراهيم ناجـى إلى دور «أبولـو» في اتصالها بالأدب العـالمي ومتابعتها للتيارات الفكرية الجديدة، وفي إيمانها برسالتهـا كمجـددة للشعـر العربـي، وموسعة لأغراضه، محددة لوظيفته في عمل إنساني شامل لتصبح جامعة تضم شباب أدباء الشرق في ندوة واحدة، وأن مدرسة «أبولو» قد استرعت الأنظار، فهى تمثل طلاقة الفن كما تمثل التجاوب الفني بين أعضائها... وهما الركنان الأصيلان لروعة تكملة الحياة الفنية التي هي عمود الشعر الحي في أية أمة، ومآل مثل هذه الحركة ان تنهض بالشعر العربي في غير حدود[١].

وهي نفس اتجاهات أبى شادى التى يحدد فيها منهج «أبولو».

---

(١) أبوشادى : أطياف الربيع .

(أمل شباب الجيل في جماعة أبولو)

ومع أن الجماعة قد دخل فيها عدد من الشعراء التقليدين فإنَ الشباب الذى تعلَق بها وبزعامة أبي شادى كان يتطلع إلى المجد الأدبي عن طريق هذا التكتل أمام ممثلي الاتجاه الفلسفي الذى سيطر على الجو الشعرى، وقد اعترف أبو شادى بسيطرة هؤلاء في قوله: «شهد هذا العام حفاوة مزدادة بالشعر الحديث، ولكنّ دائرة هذا الشعر ماتزال برغم ذلك محدودة، ومن الحق أن نقرّر ذلك، وأن تعترف بأن الشعر الغالب في الشعر العربي، وفي مصر خاصة هو مايمثله نظم على الجارم، وعبدالله عفيفي، والماحي وأقرانهم[٢]، وهو شعر فيه غالبا مرائي الماضي في الفاظ موسيقية تقليدية ...

وقد التفّ الشباب حول أبي شادى، وقامت جماعتهم ليقفوا على أرض المعركة، ومما يقوى هذا الرأى ما قاله أبو شادى: »

تستقبل «أبولو» بهذا العدد عامها الثالث متفائلة بالتطور الحديث في النهضة الشعرية فقد استهلت حياتها واتجاهها الادارى موقوف على بضعة أعلام وعشرات من الشعراء المجيدين والناس ينظرون إلى من قال لا إلى ماقيل، وروح التحزب إلى شعراء معينين سائد في البيئات الادبية، فعملت على نقض هذه التقاليد السقيمة مستعينة على تحقيق ذلك بمبادئها الحرة، وبجماعتها المتضافرة[٣].

ويعتبر عام ١٩٣٢م بمثابة انتهاء مرحلة من مراحل الشعر العربي وذلك بموت أحمد شوقي، وحافظ ابراهيم، وهما أكبر شاعرين أثرا في الشعر في العصر الحديث .

---

(٢) فوق العباب من تصدير الديوان/ ص ١ ـ ٢

(٣) مجلة أبولو ـ عدد سبتمبر سنة ١٩٣٤ ص ٤ .

وقد رضي شوقي برئاسة الجماعة مع ما بينه وبين أبي شادى من خلاف، ونظم شوقي قصيدة نشرت في العدد الأول من مجلة «أبولو» أثنى فيها على الجماعة، ودعا لها بالنجاح، ومن ذلك قوله:

أبولو مرحبا بك يا أبولـــــــــــو فليتك من عكاظ الشعر ظـــــــــل
عكاظ وأنت للبلغاء ســـــــــوق على جنباتها رحلوا وحلّـــــــــوا[٤]
لعل مواهبا خفيت وضاعـــــــــت تذاع على يديك وتستغـــــــــل

كما حياها أحمد محرم فى السنة الثانية بأبيات يقول فيها[٥]

عجبـا هل كـان فى طـوق العجبـــــا أراه اليـــوم في ملـــك الأدب
حـــدث كالحلـــم أو كالسحـــــر أو هو من هذيــن معنــى منتخـــــب
بعثوها فتنة طافحــــــــــــة طلقة الأرسان مرخاة اللبـــــــب
بنت أمس استكبرت ناشئـــــــة فهي تستعلي على بنت الحقـــــب
لا تقل شيخ وطفل إنهّـــــــــا من سمات الزور أو آى الكـــــذب
ذلك الحق فما بال الأولـــــــى أكثروا اللوم ولجّوا في الغضـــــب
انما نحنو على أبنائنـــــــــا ونحييـنهـم شيوخا ترتقـــــــب

ثم صار مطران رئيسا للجماعة بعد أحمد شوقي وقد شجعها بمقال بدأ به المجلد الثالث ليهنيء جهودها قال:

«خرجت مجلة أبولو من جهادها عامين وهي كما تراها فتية، قوية متأهبة لمتابعة سيرها في طلب غاياتها، ناصرها من ناصر مقتنعا بأن لها رسالة شريفة تؤديها، وأنه يساهم في تلك الرسالة، وناوأها من ناوأها، وهو أحد فريقين: فريق جدير بأن يعنى بنقده يبغي لها التكامل، ويأخذ عليها ما يأخذ من نية موجهة إلى الخير، وفريق لا يؤبه لقذفه، يحفزه

(٤) المجلد الثالث «لأبولو» عدد سبتمبر سنة ١٩٣٤ م.
(٥) المنتخب من شعراء أبي شادى ص ٣٧ .

غرض خاص هو ضرب من المرض» .. ويشعر الدكتور أبو شادى رئيس تحرير هذه المجلة، ويشعر الشبّان الملتفون حواليه أن البيان بلسان الضاد يجب أن تتّسع جوانبه وأن يسع كل ما يسعه البيان في كل لسان غربي الآن.

فمجلة «أبولو» تدعو إلى التجديد، وتفسح صدرها للآخذين به وعملها - على ما يعتوره من معايب أو يشوبه من شوائب - انمّا هو عمل نافع وأعده ضربا من الواجب[٦] .

وجماعة «أبولو» ومجلتها تعدّ مظهرا من مظاهر التعاون الفنّي الأدبي الذى يراه أبو شادى، فقد اهتم بالناحية التعاونية التي رأسها في مطلع القرن عمر لطفي تلك الروح التي تحدث عنها بقوله:

خلّ الوفاء الجم قصـــــدك	وابذل من الاحسان جهـــدك[٧]
طبع الحياة تبـــادل	وتعاون فلتنس صـــدك

ويقول أيضا : ــ

«اني أنتسب إلى مدرسة في الأدب تؤمن بالتعاون إيمانا لا يضحّي بالشخصية، ولا بالآثار الذاتية لأي فنان، وإنّها تنزع إلى التساند على إظهار المواهب المتنوعة، وتعترف بأن صور الجمال غير محدودة، وأن جميعها جديرة بأن تتبوأ مكانها تحت الشمس[٨]».

وانشاء هذه الجمعية فكرة أدبية راودت نفسه منذ زمن بعيد ففي عام ١٩٢٦م يقول: «ان شعار النهضة الأوربية الحاضرة هو التعاون في كل شيء من العلميات والأدبيات

(٦) المجلد الثالث «لأبولو» عدد سبتمبر سنة ١٩٣٤ م.
(٧) مجلة أبولو «العدد الأول» ص ٤٢.
(٨) مجلة أبولو عدد سبتمبر سنة ١٩٣٢ ص ٢، ٣.

فتسمع الآن بأبحاث الجماعة، وتهزّك أخبار التساند الفكرى بين أدباء الغرب وعلمائـه الذين هم من الجمعيات والأندية الثابتة بقدر مالنـا من مظاهـر التفـكك والخـذلان والتحاسد، فلنحاول التشبه بهذه النهضة الفكرية[٩] ...

وروح التعاون الحقة تدعو الى ان يعلق على الخبر الذى قاله محمود زكى صاحب جريدة (النور) من أن عددا من الشعراء الشباب استنكروا رئاسة حافظ ابراهيم لجمعية الشعراء التي فكّر البعض في إنشائها: وأن الأهم هو الأخاء والتعاون الأدبى، وايجاد البيئة الصالحة لتبادل الآراء والمباحث، وأن لاعار على مجدد إذا قبل رئاسة حافظ واعترف بسابق فضله وأثره في تكوينه، والاعتداد بالنفس لا ينافي التعاون الذى هو فضيلة مطلوبة في أسرة الأدب بل في كل بيئة تهتم بمشاكلها، وما يلائمها»[١٠].

---

(٩) المجلد الثالث لأبولو سبتمبر سنة ١٩٣٤ م ص ٤.

(١٠) الينبوع ص ٢١٣، مسرح الأدب.

أثر الدعم المالي في جماعة أبولو

ولأبي شادى فضله في إمداد جماعة «أبولـو» بماله الخاص بعد أن ضمّ إليها عددا من الجمعيات الأدبية والصناعية والزراعية والمهتمة بتربية النحل، لتستطيع بـذل العون المالي في النهوض بشأن جماعة «أبولو» وذلك لتخرج مؤلفاتها ولتهتم بمؤلفات الشباب إنقاذا لهم من أنانية الشيوخ.

وأول هذه المؤلفات كتاب (رواد الشعر الحديث في مصر) لمختار الوكيل، أحد أمناء الجمعيات التي اهتمت بخدمة شعراء الشباب ومعاونتهم وتشجيعهم، والإعلان الذى نشر في عدد مارس ١٩٣٦م يقول: ازدحمت مواد هذه المجلة ازدحاما منقطع النظير في تاريخ المجلات العربية بحيث اضطرتنا إلى وقف النشر والتأليف مؤقتا حتى لا يفوتنا تقديم شعراء وأدباء الشباب المجهولين(١١) .

فهذا يدل على روح التعاون بين أدباء الشباب وشعرائه، ويقول أحدهم عن رسالة الجمعية وأهدافها: إننا لا نحب المفاضلات والمنافسات السخيفة، كما لا نؤمن بوحـدة العمل في الأدب، والمتحدث إلى أعضاء «جمعية أبولو» لا يجد بينهم إلاّ اتفاقا في المبادئ الفنية العامة التي تساير حيوية الفنّ كما تساير روح العصر، ولكنـه لن يجـد تلك التحزبات الشخصية الممقوتة التي اشتهرت عن بعض الجماعات والفئات واني كأحد المعجبين بناجي أرحب في الوقت ذاته بجهود الأدباء من الشعراء والناشئين المجيدين، وأرى أن خير الأدب في جماع تلك الجهود وأعتبر من أفضل خدمـات أبـولـو للأدب وللأخلاق أيضا الدعوة إلى احترام الجهود الأدبية المنوعة سواء كانـت لأعضائهـا أم لغيرهم(١٢) .

---

(١١) مجلد أبولو عدد مارس ١٩٢٣ م.

(١٢) مجلة أبولو ١٩٣٤ من حكمة لحسن كامل الصيرفي .

ويلتقى الوكيل بآرائه مع أبي شادى فكانت نظرة الشباب إليهما واحدة، والتفاهم حولها، واتجاه أبي شادى هو اتجاه جماعة أبولـو نفسه الذى ظهر في مقالاته ومقدماته من : الاحتفال بالإحساس الصادق وطلاقة الأسلوب، والتأثر بالأدب الغربـي، والانسجـام بالطبيعة، والعناية بالموضوعات الفنية والإنسانية وحبّ الجمال وعدم الاهتمام بالصبغة والتقليد، وذلك ماكانت ترمي إليه جماعة الديوان.

ولذا ابتعد الشعراء عن شعر المناسبات واعتبر الوجدان الفردى معبرا عن الأعماق التي فجّرها في أول القرن مطران وشكرى وأبوشادى والعقاد والمازنى .

ويقول حسن كامل الصيرفي أحد شعراء جماعة «أبولو» عن هذه المدرسة الحديثة:

خطا الشعر خطوته الأولى نحو التجديد، والخلاص من القافية المطولة، والبحث عن المعنى قبل اللفظ، والخروج من دائرة المديح والغزل المصطنع إلى عالم النفس وكنهها المترامي الأطراف إلى التدقيق في الزهرة ونشوئها وفي أعماق البحار ومظاهرها وأمواجها وجزرها في كبد السماء، ومحاولة كشف خفاياها وأسرارها في النسمة وما تسرّ إلى الزهرة في الموج . وما ينقل إلى الشاطئ في الهمسة والصمت في النور، وفي الظلمة، وفي الوجود وما حوى وفيما خفي وراءه وانطـوى(١٣) ».

(١٣) أطياف الربيع .

((غزو الشعر لآفاق جديدة))

لم تقف هذه الجماعة عند مذهب شعرى معين، بل فتحت أبوابها لكل ألوان الشعر، ولم يكن هدفها إلا تشجيع الطاقات الشعرية القادرة على الإبداع والإيجاد ولم تخرج مع ذلك عن الشعر الغنائي في الغالب، وهناك مجهودات بذلت في كتابة القصيدة الرمزية والقصة الشعرية، ولم ينهج شعراء «أبولـو» نهج أبي شادى في كتابة المسرحية الغنائية، والمجتمع المصرى لما كان هناك من القهر السياسى وفقد الحرية والظلام المحيط به، ولهذه العوامل اتخذ التعبير الغنائي الفردى الحزين .

وقد حملت جماعة «أبولـو» على كاهلها تشجيع جميع المحاولات التجديدية من شعر مرسل إلى شعر حر الى شعر رمزى وقصصي ووصفي ...

فرمزى مفتاح تراه يقدم بحثا عنوانه (الشعر المرسل وفلسفة الإيقاع) يدعو فيه إلى الشعر المرسل، وإلى مرونته في التعبير موضحا أضرار القافية وعدم مناسبتها لنـا في العصر الحديث(١٤) ».

كذلك يخرج خليل شيبوب على الوزن الواحد في القصيدة مستعملا عدة أوزان في القصيدة ...

((نظرة الأدباء إلى الشعر المرسل والحر))

والشعر المرسل والحر كل منهما يثير خواطر الكثيرين مثل محمد عوض محمد الذى كتب مقالا هاجم فيه هذا الاتجاه ويتولى أبو شادى الرد عليه فيقول: وقراء «أبولـو» يلحظون أننا مع احترامنا لكل أثر فني سواء أكان تقليدى الصياغة أم جديدهـا لا

(١٤) مجلة أبولو عدد نوفمبر ١٩٣٣ ص ١٩٢ .

يخالفون في الأخذ بالأساليب الجديدة بدءا بالقافية المزدوجة، وسنشجع تدريجيا بنماذج من الشعر المرسل والشعر الحرولنا كل الثقة بأن الجيل الآتي سيعرف لهذين الضربين من الشعر خطرهما وسيحتفي بهما الحفاوة الواجبة[١٥] »

واتجاهات أبولـو لها تثير خواطر المثقفين بل تثير أيضا خواطر الشعراء التقليديين الذين يرون أن هذه الألوان الحديثة تقليد قبيح للشعر الأوربي...

ومقال الشاعر حسن الحطيم «أبولـو في الميزان» رسم لنا رأى المحافظين في جماعة « أبولو ومجلتها» ويقول في بعض أجزائه، وفي الحق أني أجدنـي مضطـرا لأن أكاشف صديقى الدكتور أبا شادى بإشفاقي عليه مما يزعمه تجديدا في الأدب العربي أو الشعر العربي، نعم أنا أشفق عليه وعلى مجهوده الذى لو وجهه إلى ناحيته الواجبة لكان أكثر فائدة أو أقرب إلى الفائدة في حين أنّي لست بمشفق على الشعر العربي ولا على الأدب العربي فهما بخير والحمد لله، ولست أكتم صديقي أبا شادى ولا المدرسة الآخذة بمبادئه أو الآخذ هو بمبادئها إنّي أصبحت، وكثيرون مثلي لا نطيق هذه التيارات العنيفة القوية التي يحاولون أن يوجهوا بها الشعر العربي، وإلا فما قيمة القصائد التي تبتدئ بقافية وتنتصف بقافية ثم تنتهي بقافية، وهل نضبت اللغة عن أن تدر قوافي متحدة لقصيدة واحدة؟.

ومقال الحطيم المذكور يصور رأيه ورأى مدرسة المحافظين أن هذا الاتجاه الأدبي من الشعر المنثور والشعر الحر معيب في رأيهم وقد أخذ على الجماعة تسميتهـا باسـم أعجمي، ولكن أبا شادى ردّ عليه في اطمئنان إلى سلامة موقفه مبينا خطأ آراء الحطيم وزملائه من المحافظين .

وللمحافظين موقف آخر فقد حاولوا إنشاء جمعية شعـرية مناهضـة لجمعية أبولـو، واجتمع الهوارى وأحمد الزين وحسن الحطيم وعبدالجواد رمضان مقررين إنشاء جمعية باسم «جمعية عكاظ» مع إصدار مجلة بهذا الاسم الاّ أن فكرتهم لم تنفذ[١٦] .

(١٥) جماعة أبولو عدد ابريل ص ٨٤٢ .

(١٦) مجلة أبولو ـ المجلد ص ١٢٢٨ ومابعدها، يونية ١٩٣٣ ن.

((أصول المعركة بين المدرستين))

وأبو القاسم الشابي أحد شعراء جمعية «أبولـو» يوضح أصول المعركة بين المدرستين: مدرسة المحافظين، ومدرسة المجددين في مقدمته لديوان أبي شادى (الينبوع) فيقول: أما المدرسة القديمة فهي تزعم أن اللغة العربية مزاجا خاصا لا يسيغ الا ضروبا محدودة من التفكير والحس والخيال، وهي تنقـم على المدرسة الحديثة أنها تستحدث في الأدب العربي فنونا من البيان مشبعة بما في الـروح الأجنبية وآدابهـا من طرائف التفـكر والخيال والإحساس، وهي تدعي أن ذلك لا يلائم طبيعة اللغة العربية ولا ينسجم مع مانسميه: الأسلوب العربي الصميم.

أما المدرسة الحديثة فهي تدعو إلى ما تفكر به المدرسة القديمة بدون تحـرز ولا استثناء، وهي تدعو إلى أن يجدد الشاعر ماشاء في أسلوبه وطريقته في التفكير والعاطفة والخيال وأن يستلهم ماشاء من كل هذا التراث المعنوى العظيم الذى يشمل ما ادخرته الإنسانية من فن وفلسفة ورأى ودين لا فرق في ذلك بين ماكان منه عربيا أو أجنبيا وبالجملة فهي تدعو إلى حرية الفن من كل قيد يمنعه الحركة والحياة، وهي في كل ذلك لا تكاد تتفق مع المدرسة القديمة إلا في احترام اللغة وقواعدها بل إن فريقا من متطرفي المدرسة الحديثة لا يعدل بحرية الفنّ شيئا، ولا يحفل في سبيل ذلك حتي بقواعد اللغة وأصولها[١٧] » .

((تجاربهم الذاتية وأثرها))

واتجاه شعراء «أبولـو» لم يكن الاّ ذاتيا معبرا عن تجارب ذاتية لهم وساعدهم على هذا الاتجاه الحياة التي صاحبت نشأة التجديد، وعملت على ظهورها فقد اتصف هذا العصر بالقلق والتردد بين الماضي والمستقبل المخيف، ولذا تجد المسافة شاسعة بين اعتقاد الناس

(١٧) الينبوع ـ ص ث .

فيا يجب أن يكون وبين ما هو آت ، فما بالك بالشاعر وهو أوسع خيالا من سائر الناس وألطفهم حسا[١٨] » .

وفشل ثورة ١٩١٩ م وانحراف الأحزاب السياسية في عهد إسماعيل صدقي حيث كان جو الدكتاتورية السياسية والحد من حرية الفكر والرأى والقلم، ولذلك عاد الشعر إلى الشكوى والتحدث عن الأحلام والهرب من واقع الحياة.

كما ارتبطت في محيطها الخارجي بحركة المقاومة الشاملة للاستعمار في العالم العربي وظهور مسألة فلسطين كمشكلة أثارت الرأى العام العربي ودفعته إلى التجمع والدعوة إلى الوحـدة العربية .

لذا ظهر عند الجماعة الشعر الوجداني الذاتي الذى يتحدث فيه الشاعر عن آلامَه الخاصة أو الهرب منها إلى الطبيعة (مرجعا سعادته وشقاءه إلى ذاته وإلى ظروف حياته الخاصة، وإلى القضاء والقدر فرارا من المؤاخذة[١٩] ...

ولهذا أصبـح موقف الشعـراء من قضية الحـب ومـا يحملـه من الحـيرة والأسى، والاضطراب أكبر من الموقف الفردى إزاء تجربة إنسانية عاطفية.

فهم كانوا يعبرون عن موقفهم من الحياة والمجتمـع من خلال التعبـير عن هذه التجربة .. فكانت المرأة مرآة يعكسون عليها كل ما يشعرون به من الضياع والفشل في مجتمع لم يبلغ من التقدم حدًّا يتيح لهم أن يحققوا ما يراود نفوسهم المتطلعة[٢٠] .

والرومانتيكية تراها متمثلة في شعر جماعـة «أبـولـو» لأن طبيعـة الحياة المصرية ساعدت على نموها وازدهارها كما يقول الدكتور محمد مندور.

(١٨) ديوان المازني جـ ١ من مقدمة العقاد .
(١٩) فى الشعر ص ٧٤ ومابعدها
(٢٠) مقدمة ديوان ذكريات شباب ص ١١.

(أبولو واتجاهها الشعرى المخطط).

وأبدأ حديثي بهذا السؤال: هل كانت جماعة أبولو مدرسة لها أهدافها وطابعها الفني؟ والجواب على هذا السؤال من جميع الدارسين بالنفي، وفي هذا الصدد يقول الدكتور شوقي ضيف: (إنها تحتاج إلى التخطيط الفني منذ أول الأمر ليست كجماعة الجيل الجديد السابقة التي حملت مذهبا أدبيا بعينه ضد شعراء البعث وظلت تدافع عنه آمادا طويلة، ونتج تحت شعاره دواوين من ذون معين ووجهة معينة[٢١].

ويضيف الدكتور شوقي ضيف قوله: إنهّا ضمت الشعراء الذين صدحوا بالشعر بعد ثورة ١٩١٩م مثل النشار وعلى طه وابراهيم وغيره إلاّ أنها لم تضع أمامهم منهجا معيّنا في صناعة الشعر ونظمه وكذلك لم يكتب لها البقاء طويلا[٢٢].

أشرنا فيما سبق إلى قول الدكتور شوقي ضيف ورأيه فيها أما الدكتور محمد مندور فيقول عن هذه الجماعة: إذا كنت قد قررت في كتابي الأخير عن جماعة «أبولو» أن هذه الجماعة لم تتقيد بمذهب شعرى معين، ولم ينقلب اتجاهها الوجداني إلى مدرسة شعرية فانما يرجع ذلك إلى حقيقة مسلم بها هي أن كل مذهب أدبي أو مدرسة فنية لا بد أن تقوم على أسس فكرية نظرية هى التي تعطي أى اتجاه صفة المذهب، ويقول الدكتور مندور أيضا عنها: جماعة «أبولو» ومجلتها لم تكونا مدرسة أدبية متجانسة ذات مذهب موحد ذى خصائص معينة، ولذا فإننا لا نستطيع أن نحدد لهذه المدرسة ولأبي شادى رائدها مذهبا محددا من مذاهب الشعر التي عرفها الأوربيون كالرومانسية أو الواقعية أو الرمزية، أو غيرها، وإنما الذى يتفقون عليه هو نفسه ما اتفقت عليه جماعة (الديوان من قبل أى الدعوة الى التجديد والتحرر من التقاليد العربية التي تحجرت، وان تكن هذه الدعوة قد ظلت منذ أوائل هذا القرن حتى السنوات الأخيرة في حالة فوران مستمر لم ترسب في شيء محدد، ومثل أصحاب هذه الدعوة كمثل قوم نيام أيقظهم صوت البوق فانتبهوا جميعا

(٢١) يقصد جماعة الديوان.

(٢٢) الأدب العربي المعاصر في مصر ص ٦١.

وأخذ كل منهم يعد وفي جهة، وهم لا يمكن أن يجتمعوا على درب واحد إلاّ إذا ساقتهم إلى ذلك تضاريس الأرض ودفعتهم إلى مفـازة واحدة، وما التضاريس في حالتنا هذه إلاّ رمز لأحداث الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية التي تمهد لظروف مذاهب الأدب والفن، فالدعوات النقدية وحدها لا تستطيع أن توجد المذاهب وإنما توجدها قبل كل شيء تيارات الحياة وظروفها الملحة وتضاريسها، ولا أدل على ذلك من أن نلاحظ أنه لم ينشأ لدينا مذهب أدبي محدد، إلاّ في السنوات الأخيرة نتيجة لذلك الاتجـاه العـام في السياسـة والاجتماع والثقافة نحو الواقعية(٢٣) .

وتقرير الدكتور محمد مندور في الحقيقة فيه قدر كبير من الصحة، وليس لأبولو مذهب معين تعرف به مثل ما في الأدب الغربي، والواقع أنه ليس لهذه فلسفة شعرية معينة تنادى بها وتصدر عنها مع وجود اشتراك في الخصائص الشعرية التى نراها في إنتاج جماعة «أبولو» من الرومانسية المعروفة في الأدب الغربي، بل نرى تشابها كبيرا بين الرومانسية المصرية والرومانسية الغربية، وخلو أدب «أبولـو» من فلسفة شعرية معينة أمر يلائم ظروفها وطبيعتها، فلم يكن في استطاعتها تحديد مذهب تدعو إليه في فترة تطور أدبنا العربي، ومن يقرأ الشعر العربي يجده خاليا من التطورات الحاسمة المؤثرة في الاتجاهات والمناهج أيضا، فقد ظل الشعر العربي يسير على نمط واحد إلى أوائـل هذا القرن، حتى بعد محاولات التجديد في أيامنا هذه، فالنزعة التقليدية تجدها بارزة وملموسة في تلك الحقبة، ولم يكن أمام المجددين من الرعيل الأول إلا أن يبحثوا عن مفاهيم جديدة، ويحاربوا التقليد الذى حارب الابتكار، ولهذا لم يقرر واحد من المجددين قبل «أبولو» ولا بعدها أن يتخذ منهجا معينا يدعو إليه، ولذا كان عليه أن يغيرّ المفاهيم القديمة التى احتفلت بالقديم وجلاله، والأقرب إلى منطق الأمور ما وقع فعلا وهو أن يقوم المجددون بمحاولة الدعوة إلى الأنطلاق والأخذ عن الحياة المعاصرة. ولا يمكن حدوث هذا في يوم وليلة، فإن عمود الشعر وتأثرنا به غزا أدبنا عبر القرون، وأذواق القارئين قد تأثرت برسم هذا العمود الشعرى، وليس من السهل تغيير أذواقهم بمجهود فردى أو جماعى في فترة وجيزة من الزمن، ولذلك نفدت جهود المجددين من الشعراء جميعا في قلب هذه

(٢٣) محاضرات في الشعر المصرى بعد شوقي ص ٣٩.

الأوضاع الأدبية الواصله إلينا من السابقين، فعل يمكن لجماعة «أبولو» أو غيرها وسط هذه المعركة الأدبية وفي ظروف قاسية مرّت بها مصر أن تنشيء مذهبا جديدا تدعو إليه ؟.

كما أن جماعة الديوان ليس لها تخطيط ومنهج تصدر عنه دواوينها كما يقول الدكتور شوقي ضيف، فالآراء التي نادت بها جماعة الديوان هي آراء النخبة من المجددين في مطلع هذا القرن كما قلنا وكل ميزاتها أنها فصلت القول وطبقته على شعر الشعراء التقليديين، وجماعة «أبولو» في دعوتها الجديدة لم تأت بجديد تضيفه الى جماعة الديوان من ناحية الأسس العامة، فالأراء في كل منهما متشابهة من الدعوة إلى محاربة شعر المدح والصناعة والتقليد، والمطالبة بالتأثر بالحياة الجديدة والاهتمام بالوحدة العضوية في القصيدة، ودراسة الحالة النفسية للشاعر، وأثر البيئة في الأدب والأديب. وفي نفوس الناس قراء ومنشئين حتى تكون أساسا لنشأة مذهب أدبي جديد محدد الملامح والقسمات ، والآراء الحديثة علاوة على تأثرها بالبيئة الأدبية منذ مستهل هذا القرن شعرا ونثرا، وقبل تطبيق جماعة الديوان لها على الشعر التقليدى عام ١٩٢١م - لا تعتبر مذهبا أدبيا أو مدرسة محددة كما يفهم من كلام الدكتور شوقي ضيف، وجماعة الديوان أو جماعة أبولو لا يعيبها حاجتها إلى مذهب مستحيل، لأن من المستحيل تكوين مذهب أدبي في هذه الفترة ، لأن الحياة السياسية والاقتصادية التي غيّرت وجه المجتمع الأوربي لها تأثيرها في إيجاد المذاهب الأدبية والمجتمع العربي لم يتعرض لمثل هذه التيارات المختلفة، ولذا ظلّ الشعر العربي على صورته الهادئة.

والمتتبع لجماعة «أبولو» - ومجلتها يرى المعارك التي أمّت بها معركة الشعر القديم والحديث، وهذه المعارك كانت سببا في إظهار جماعة الديوان قبلها، ومن يقرأ تاريخ مدرسة المحافظين يجدهم سيطروا على الحياة الأدبية، ولا يقبلون الصورة الرمزية أو إيجاد أوزان عروضية أو لغوية قبلها السياق الفّني .

فهل يمكن في هذه الظروف وجود مذهب أدبي محدد؟

يعود الدكتور محمد مندور ويعترف باستحالة ظهور المذهب الأدبي عندنا فيقول معلقا على مقال لأبي القاسم الشابي «وفي الحق أن حياتنا العملية كلها كانت تهفو في تلك الفترة من تاريخنا لا إلى الحرية فحسب بل والحرية المطلقة التي لا بد أن تصاحبها الفردية، وأن تنفر من التمذهب، وكان تفكيرنا العام لا يتطلع إلاّ إلى الحرية السياسية، والتفكير الاجتماعي لم يكن قد نما بعد، وهو ذلك التفكير الذى لابد أن ينتهي بفرض قيود وحدود على الحرية الفردية بحكم التضامن الاجتماعي، وكفاح الحياة المشترك الذى لابد أن يحدّ من الحرية الفردية التي كانت ملازمة عندئذ للحرية السياسية حرية الوطن، وحريّة المواطن ، ومثل هذه العقلية العامة لم يكن من السهل أن تظهر فيها المذاهب حتى ولو كان ذلك في مجال الفنّ والثقافة(٢٤)

ونعيد السؤال مرة ثانية هل كانت جمعية «أبولو» ومجلتها مدرسة شعرية فنية؟ ... وكانت إجابة القارئين على هذا السؤال بالنفي كما قلنا من قبل.

وقال العقاد عنها: إنّها كانت تهدف إلى ممارسة التجارب الذاتية منفصلة عن المجتمع وأنها قد انعزلت عن الحركة الفكرية والسياسية وانفصل شعراؤها عن المجتمع لا عن الحياة، ولم يكن شعراؤها جميعا ممن ظهروا على صفحاتها، بل كان هناك من لهم تاريخ قبل اتصالهم «بأبلوا» مثل : ناجي، وعلى طه، والصيرفي .. وربّما كان ناجي أكثر تأثيرا في جماعة «أبولو» من غيره ..

ويقول الدكتور شوقي ضيف عنها: إنها جماعة يعوزها التخطيط(٢٥) ، ولكن إذا كانت قد احتضنت الشعراء وفتحت أبوابها لجميع الاتجاهات من الشعر الكلاسيكي مثل شعر شوقي ومحرم بل، وكان من المدرسة الكلاسيكية الرئيس والوكيل لها. وصارت مجلتها ميدانا لأقلام كثير من شعراء مدرستها التقليدية إلا أننا نرى خطوطا واضحة تحدد لونا شعريا هو الرومانسية المذهبية في شعر أعضاء جماعة «أبولو» الذين نهضوا برسالتها

(٢٤) محاضرات في الشعر المصرى بعد شوقي ص ٤٢ .
(٢٥) الأدب العربي المعاصر في مصر ص ٦١.

وواصلوا نشاطهم الأدبي على صفحاتها وكانوا على صلة وثيقة بمؤسس المدرسة أحمد أبي شادى» .

وعدم وجود مذهب أدبي محدد «لابلو» لا ينفى كونها مدرسة لها طابعها الذى ساد نتاج شعرائها الذين جمعتهم الصداقة والرغبة الأكيدة في هدم القديم، ومجاراة العصر، والتأثر بالتيارات الأدبية المعاصرة والانطلاق مضمونا كما يقول النقاد اليوم، وقد ساعدت ظروف الحياة في تلك الفترة على إبراز هذا الاتجاه الذى عرفت به هذه المدرسة .

(صلة أبولو بالرومانسية الغربية)

من يطلع على الرومانسية العربية والرومانسية الغربية يجد تشاهبا بين نشأة كل منهما، فقد حارب المجددون العرب الكلاسيكية التى كانت مسيطرة على الجانب الأدبي مثل هجوم الأدباء والمفكرين الغربيين للكلاسيكية التى وجدت منذ القرن السابع عشر وبذلك مهدوا الطريق للرومانتيكية كما فعل العرب المجددون[٢٦] .

فالرومانسيون في الغرب أخذوا يثنون على سلطان القلب والعاطفة أمام سلطـان العقل الذى عظمه الكلاسيكيون .

قام المجددون العرب يدعون إلى الوجدان الذاتي والتعبير عن مكنون قلب الشاعر وعاطفته المتغايرة بعيدا عن الاتجاهات الشاملة التي أبعدته عن التعبير الذاتي .

ويمكننا أن نحدد الأسس الرومانتيكية التي عرفت عن المذاهب في أوربا في شعر مدرسة «أبولو» مع الإشارة إلى بعض النماذج الشعرية لها .

فالرومانتيكيون في الغرب هربوا إلى الطبيعة يستلهمون جمالها الصادق بعيدا عن المدنية وضوضائها وعن المجتمع وتقاليده .. كذلك هرب شعراء «أبولـو» في مصر ، ومن نماذج شعرائها قصيدة لأبي شادى بعنوان: «أنشودة الحزين»

(٢٦) الرومانتيكية ص ٢ .

لا الظـل ظـل، ولا الأضـواء أضـــواء　　إذا تنـاوب نفسـي الهـم والـــداء[٢٧]
فـزعت حزنـا إلى أم كلفـت بهـــــا　　كما تدفّـق فـي أحضـانها المـــــاء
أنـا الـذى فتهـافى دمعهـا نزفـــا　　فطـو حتنـي تعـلات وأهـــــواء
فعـدت واليـأس يشـقيني ويقتلنــي　　وللطبيعــة إشفــاق وإحيــــاء
تعـــود نفسـي إلى مجـلى عنايتهـــا　　كما تعـو إلـى الأفنـا ورقـــــاء

ويقول أحمد مخيمر من الطبيعة وبنو حواء[٢٨].

دنـت بالحسـن في الطبيعـة لكـــن　　دنـت بالشـر في بنـي حــــواء
فـإذا سمعـت تغريـدة الطـير علــــى الـدوح أو خريـرا المـــــاء
سبّحـت في عوالـم اللـه روحـــي　　واستراحـت إلـى الخيـال النائـــي
وتـراءت لهـا الـطبيعـة حسـنـاء قــــد استـكملـت مــن الإغـراء

كما تطلع الرومانسيون إلى المجهول وإلى الجمال المطلق الذى لايمكن تحقيقه، ويعبر الصيرفي عن هذا الاتجاه قائلا[٢٩]

ظمـآن أطلـب ريـــــا　　من جـدول سلســـال
يجـرى مـع النور حـــرا　　حريـــة الشــــلال
يسيل بين ربـــــوع　　جـود كـت دوالـــــي
مياهــه من نســـــور　　تطفــو عليــه لآل
ظمآن ظمـــآن لكـــن　　طلبـت ماهـو غالـــــي

(٢٧) الينبوع ص ١٣٢ .
(٢٨) ظلال القمر ص ٤٨ .
(٢٩) الألحان الضائعة ص ٤٨.

وهذه النماذج الشعرية لشعراء جماعة «أبولو» ترينا أنهم يتبعون منهجا وطابعا مميزا لشعرهم هو طابع الرومانسية بكل خصائصها ومفاهيمها كما عرفها الغربيون، وبهـذا نصل إلى شعراء مدرسة «أبولـو» يجمعهم مذهب واحد هو المذهب الرومانسي وإن لم يتخذ منهجا شعريا تدعو إليه، والمبدأ الذى ارتضاه جماعة من الشعراء لتكوين جمعية تربطهم برباط الصداقة والزمالة له أثر فعال في إيجاد مدرسة لها هدف موحد .

الحملات النقدية وأثرها في جماعة أبولو

لاشك أن نبوغ شعراء جماعة أبولو، ونظمهم للشعر في لونه الجديد المتأثر بالرومانسية وبالطبيعة وما فيها من جمال .. جعل الناس يقبلون على قراءته وروايته أن تركزت الحملات النقدية في صحف ومجلات (الأسبوع، والوادى والراديو والشبيبة) وأخذ العقاد يكتب في بعضها وأصحابه يكتبون في بقية هذه الصحف، وقد أثرت هذه الحملات النقدية على الجماعة ولقسوتها قرر صالح جودت اعتزال الحياة الأدبية وترك الشعر قائلا: إنه يقف موقف الجندى الذى يطمع في الانتصار ليلقي السلاح وينتحر(٣٠) .

كما أثرت الحملات النقدية أيضا على الصيرفي حيث قال متألما(٣١) . :

في ذمة الفن ما رددته أمــــدا فضـاع لحني سدى في جوّ نكـــران
طغى عليه ضجيج القوم وانطمســت أصداؤه وفؤادى على ألحــــان

والعقاد ومريدوه من الشخصيات التي نقدت «أبولو» حين طلب منه الاسهام في تحرير العدد الأول من مجلة «أبولو» فكتب فيها كلمة نقد فيها تسمية المجلة باسم «أبولو» واقترح أن يكون اسمها عطارد ...

ويرجع سبب الخلاف بين العقاد وأبي شادى إلى المقال الذى كتبه أبو شادى عن ديوان العقاد (وحي الأربعين) ونشر في مجلة أبولـو عدد فبراير سنة ١٩٣٣ ص ٦٩١، وقد كتب عن العقاد كلاما حسنا، وأشاد بمكانته الأدبية، وأشار إلى بعض أبياته الضعيفة في نظره، ومن نقده أن العقاد (يتعثر في تعابيره بغير موجب، ونخال ذلك راجعا إلى اعتداده بنفسه وسخطه على القدامى العابدين للصور الكلامية، والألفاظ الجوفاء مثال ذلك قوله يوم عصعصب (ص ٦٧) وكان له ندحة عن استعمال هذا اللفظ النافر وقوله (ص ٨٢) .

---

(٣٠) مجلة أبولو المجلد الثاني ص ٩٦٣ . (٣١) مجلة أبولو المجلد الثاني

إذا قلت زورا فهو من صدق شيمتي .. ومن يصف الدنيا يصف خيم ختال .

يريد طبع ختال ... والشعر المصرى في غنى عن أن يختم بلفظ «خيم» ومنها أن العقاد أحيانا شديد التركيز في أسلوبه حتى يكاد لا يبين عن مراميه كما هو ملحوظ في قصيدته (فلسفة الحياة ص ١٧) ... كما ترى في بعض قصائد خواطر سابقة كما في قصيدة (ضلال الخلود ص ٢٥) فهي تذكرنا بقصيدة (الشاعر البابلي) لعبدالرحمن شكرى[٣٢] .

فهذا المقال أثر في العقاد فأمسك بقلمه واتهم أباشادى بالضعف والجهل في جريدة الجهاد، وكان لزاما على أبي شادى أن يرد عليه بقوله: «لم يكن يدور بخلدنا حينما كتبنا كلمتنا عن (وحى الأربعين) في العدد الماضي من «أبولو» وقد لقيت استحسانا عند الكثيرين من الأدباء - ثم ما تقدم من أن هذا العدد أن أديبنا الفاضل صاحب الديوان يشذ بسخطه على ملاحظاتنا الودية ويحملها مالا تحتمل من المعاني بينما نحن في طليعة من يقدرون مواهبه ولذلك يعتب عليه ويقول إن نظرته إلى ناقديه لا يجوز أن تصدر عن ناقد نابه مثله، ولكن يظهر أن العقاد تعود التأليه من رفقته بحيث أصبح لا يطيق كلمة نقد بريئة حتى من معجب به[٣٣] .

حقا لقد كانت الخصومات الأدبية السبب في هذا النقد اللاذع، وادعى العقاد أن جماعة «أبولو» أنشئت لمناوأته ، وأن القصر يموها لمحاربته، وكان لقول العقاد أثر شديد على أبي شادى الذى دافع عن نفسه بقوله: «نتحدى أى مخلوق يدعي ما يدعيه العقاد من أننا نعمل بإيعاز من أى سلطة أو بمكافأة أى سلطة لمناوأته المزعومة كما أوهم أحد أذنابه في كتاباته، وكما ذكر العقاد تكرارا في مجالسه إيهاما بعظمته وطعنا في شرفنا بهذا السلاح الخسيس بينما شرفنا الوطني وشرفنا الشخصي كلاهما أسمى من أن ينال منه أى إنسان على الإطلاق من العقاد وأذنابه[٣٤] .

---

(٣٢) مجلة أبولو، العدد الأول سنة ١٩٣٢ ص ٥٤ ، ٥٥.

(٣٣) مجلة أبولو عدد فبراير سنة ١٩٣٣ ص ٦٩٢.

(٣٤) مجلة أبولو أعداد مارس وابريل ومايوم ١٩٣٣ م.

وتتوالى حملات النقد ضد أبي شادى فيها جمه حسين المهدى غنام في مقالات متتالية في جريدة الوادى تحت عنوان (نقد الشفق الباكي) كما يهاجمه أيضا كامل الشناوى وجماعة «أبولـو» في جريدة الوادى[٣٥] ...

كما امتد نقد الأستاذ العقاد لديوان (وراء الغمام) لناجي بعد صدوره، وتعرّض هذا الديوان لحملات عنيفة فقد (وضعوه على المشرحة في غير رحمة) كما يقـول صالـح جودت[٣٦] ..

ويعجب أحد تلاميذ العقاد من جمعية «أبولو» لجمعها لأنواع من الناس فيقول: «إنك لو نظرت إليهم لن تجد إلا أفرادا (ينقصهم النضوج جميعا) ثم يتحدث عن أبي شادى ويوازن بينه وبين العقاد وينتهي إلى أن العقاد: «رجل له آراؤه وفلسفته الخاصة في مسائل الحياة الكبرى يصورها شعرا أو نثرا بينما أبو شادى يقنع أن يخرج في العام أربعة دواوين فيها أشعة وظلال وأطياف ونور وطيور عارية، ونزعات إباحية [٣٧].

ويرد أبو شادى على العقاد نفسه ظنا منه أنه الكاتب لهذا المقال النقدى، وإن نشر باسم أحد طلابه قائلا: «كتب عباس محمود العقاد بإمضاء أحد أتباعه مقالة من مقالاته المنشورة في جريدة الوادى بعنوان (ضجة مفتعلة) ... الخ ويواصل أبوشادى الرد عليه فيقول اهتم العقاد كعادته في مستهل هذا المقال الذى شغل بنهرين من الوادى وهو واحد من سلسلة المقالات المنتظمة محاولة النيل منا على مثال ماكان يتبع عبدالرحمن شكرى منذ عشرين سنة «اهتم بالتهوين من شأننا والتعظيم من شأنه ، وهي طريقة مبتذلة في الكبرياء المصطنعة. ولا نعرف أن هناك قوى تحاربه، فهذا تهويل في تهويل وجعجعة فارغة، بل إن ما يتعرض له زملاؤه الصحفيون المجاهدون الذين لا يضجون مثل هذا الضجيج لفتا للأنظار وتظاهرا بالبطولة[٣٨] .

---

(٣٥) مجلة أبولو عدد أكتوبر سنة ١٩٣٤ ص ٢٦١ . (٣٧) جريدة الوعدى أكتوبر سنة ١٩٣٤ م.
(٣٦) ناجي : حياته وشعره ص ٧٧. (٣٨) مجلة الأسبوع ـ سبتمبر سنة ١٩٣٣ م ص ٩.

ولم تقف الحملات النقدية عند المقالات التي تنشر في المجلات والصحف للتقليل والتهوين من شأن أبي شادى وجماعة «أبولو» ورد أبي شادى على خصومه بل انتقلت المعركة النقدية من المقال المنشور في المجلة إلى كتب نقدية ألفت للرد على خصوم هذه الجماعة ومهاجمتهم، فترى رمزى مفتاح يؤلف كتابا يهاجم فيه العقاد، ويؤلف حبيب الزحلاوى أحد أتباع العقاد كتابا يهاجم فيه أبا شادى وجماعة «أبولو» ووصف شعره بالإبهام وأنه لا يصح أن يوضع مع العقاد العبقرى كما قال أو مع شكرى وخليل مطران، وأثر نقد الزحلاوى له في أصحاب النفوس الضعيفة فلم يتذوقوا شعره ولم يقدروا إنتاجه، إلاّ أن طابع المهاترة والبعد عن الموضوعية كان اللون الذى ساد المعارك الأدبية بين الفريقين [٣٩]...

---

(٣٩) مجلة أبولو ـ أكتوبر سنة ١٩٣٤ م ص ٢٦٢.

أثر أبي شادى في الحركة الشعرية

أشرنا فيما سبق إلى أن أبا شادى كان ذا ثقافة عربية وغربية واسعة، وأنه كان مهتما بالتجديد في الأدب العربي، وابتكار مدرسة يمدها بكل ما يملك من طاقات فكرية ومادية وقد عمل على إنشاء جماعة «أبولو» لتكون نواة لاتجاه معينّ أراده وهو الاتجاه الرومانسي» ولم يكن شاعرا للطبيعة بل كان ناقدا للأدب، وهذا يدلنا على تفوقه على أقرانه واتباع الشباب له في هذا الاتجاه الجديد.

وإن قال البعض إن ناجي أكبر تأثيرا في الشباب من أبي شادى الذى لم يعرف بطابع مميز يمكن أن يعدى بل انساب في كافة الميادين، واتسعت رقعته حتى أصيب بشئ من الضحالة .

وعلى كل فإن أبا شادى عمل جاهدا على إفادة الشعراء الشباب يقول عام ١٩٢٨ قبل إنشاء «أبولو » ومادامت هذه الكلمة وكثيرات من أخواتها موجهة إلى الناشئة الـذين يقرأون لي ويعنون بملاحظاتي النقدية في الأدب والاجتماع فبودّى أن يؤمنوا بمبدأ التنقيب والاطلاع الشخصي»(٤٠).

كما تحدث أبو شادى عن الاتجاهات النقدية الحديثة بعد ظهور مدرسـة «أبولـو» وصدور مجلتها فقال: «نحن لا ننشر ما يشاء الشباب، ولكننا ننشر ما نختاره نحن من أدبهم بعد النقد الدقيق والتهذيب عند الضرورة(٤١) .

وقد أدرك أبو شادى ثمار غرسه الطيب وجهوده الشعرية البناءة في نفوس الشباب لانهم أمل المستقبل في النهضة الأدبية القائمة على الاتجاهات الحديثة ... وفي هذا يقـول: وبالرغم مما يتخلل هذا التصدير من روح التبرم فإنه مفعم بالتفاؤل للمستقبل لأننا نلمح في الجيل الآتي روح البداية حينما انتهينا، والقدرة على الاستيعاب الـكلي لأساليبنـا ودقائق فننا ثم التقدم بجرأة وهذا هو التطور الصالح الذى نفرح به ونحييه(٤٢) .

(٤٠) مسـرح الأدب ٢٠٨. (٤١) مجلة أبولو عدد نوفمبر سنة ١٩٣٤ ص ٤٣٥٠. (٤٢) فوق العباب .

الاعتراف بفضلـــه

وإنصافا للحق والتاريخ نقول إن أبا شادى أدى خدمات جليلة للأدب و لشباب مصر الأدباء، ولم يلق تقديرا إلاّ من الأدباء المعدودين لغزارة إنتاجه من جهة، وقلة الصبر على الدراسة المستفيضة من جهة أخرى.

ولذا لم يقـدر أدبه حق التقدير إلاّ من اتصلوا به وعرفوا جهوده الأدبية، ومن هؤلاء مطران وناجي والشايب والصيرفي وصالح جودت وغيرهم من أدباء الشرق والغرب أمثال الزهاوى والمستشرق الألماني بركلمان الذى عبر عن أدبه في كتابه: تاريخ الآداب العربية، يقينا أن هذا الأدب مهما اختلف عليه فهو ثروة للغة العربية، ولا يجوز لمنصف أن يجحد أثره في توجيه تيار الأدب العربي الحديث [٤٣].

ويقول السحرتي : فما أنسى أبدا أثر هذا الشاعر العائش كالراهب في صومعة الفن والعلم صديقي الأستاذ الدكتور أحمد زكي أبو شادى الذى حبب إليّ الشعر وكنت زاهدا فيه قبل اتصالي به وبمدرسة «أبولو» وهل ينسى شباب هذا الجيل فضل هذا النابغة، وقد وجهه إلى الشعر الغني وعلّمه الطلاقة البيانية وشق له طريق التجديد«[٤٤].

ومع كثرة شعره الرومانسي لم تتحقق له عذوبة الجرس ومتانة التركيب إلا أنه أثر في شعر كثير من الشعراء، حتى اتجاهه إلى احترام الجسد الإنساني ممثلا في المرأة ومناهضته للآراء التي تدعو إلى احتقاره نرى أثرها في قصيدة الصيرفي. «الروح والجسد».

تعالى ليس يعجبنـــــــي   من الصوفي مـــــــرآه[٤٥]
وهـــل ترتفـــع الـــروح اذا ماحقّـــرالجســـم
وليست تحسن الـريــــح   اذا ماضمهـا الزهـــــر
صفـاء الـروح في الجســـم   وهذا الجســم مـرآتـــه

(٤٣) تاريخ الآداب العربية ج ٣ فقرة ١٦ ص ٩٦ س ٢ لبروكلمان.

(٤٤) أزهار الذكرى ص ٣.

(٤٥) الألحان الضائعة ص ٨٥ .

أما اتجاهاته الرمزية فقد ظهر أثرها في جماعة «أبولـو» وقد لقيت تقديرا عند شعراء المدرسة، فالهمشرى يكتب بحثا عن الرمزية يوضح فيه جمال الرمز، ويرجع الفضل في ذلك لشعر أبي شادى والصيرفي.

أثر أبي شادى في الشعر المرسل والشعر الحر

وأبو شادى ممن عني بتأسيس الشعر الحر والشعر المرسل، وكانت قصائده الشعرية أقرب إلى تلاميذه، من قصائد غيره من الشعراء، بحكم الأختلاط والألفة والنشر في مجلة واحدة، وفي شعر شباب «أبولو» محاولات كثيرة نكتفي منها بقصيدة «وحي الشعر» للصيرفي، وقد استخدم وزنين مختلفين، وقصيدة (ميلاد الفجر) لحسن محمد محمود وهي من الشعر المرسل، وكذلك قصائد (الرؤيا) و (حلم) و (زهرة الذكرى) للسحرتي ..

وأثر براعة أبي شادى البيانية، وتحرره التعبيرى لا يبرز في شعر واحد من هؤلاء الشباب كما يتضحان في شعر السحرتي لأن أغلبهم ذوو طاقات شعرية قوية، وتأثرهم ببراعة أبي شادى قد تستره قوة هذه الطاقات، وإن كانوا قد استفادوا منها، ووجود هذه البراعة التعبيرية عند السحرتي، ومواهبه أكبر من مواهبه كشاعر دليل على تأثر شعراء الشباب بها ... تأمل قصيدة السحرتي (دمعة وفاء) وكيف تحرر من الوزن الواحد فيها، وكيف خرج على النظام الكلاسيكي في الرثاء وكيف مزج الرثاء بالطبيعة، ثم صاغ كل هذا في أسلوب فيه الطلاقة والتحرر والجدة ...

تاه مني في الزحام يوم أن كان معي
صاحب كالزهر في طيب الحلال
قد تحلى بجمال وذكاء ألمعي
افترقنا واجتمعنا مثل ظل وشعاع
كم تناجينا سويا بالأماني
وحديث الروح يسرى في الظلام
مثل أنوار المنار

أسـد المـوت علـى الـروح القنـاع
وتـوارى النور مـن عـين الصديق
وعـلا عينـي غيـم وضبـاب
وبـدا العمـر كأوهـام السـراب
ليـت شعـرى مـا الحيـاة

وأما الاتجاه إلى شعر الطبيعة المصرية فقد ضرب أبوشادى فيها المثل في هذا الميدان وتحدث عن الطبيعة في ديوان «أنداء الفجر» الصادر عام ١٩١٠م قصيدة «أنفاس الخزامي ص ٤٩»، ولا ينظر الى الزهرة نظرة شعرية تقليدية فتراه يقول: «إنهّا زهرة مصرية أصيلة ثم يذكر لنا قصة التفاته إليها فيقول: نشأت أحب هذه الأزهار وأحب النحل بها، ثم تبينت من أستاذى في علم النبات أنها أزهار مصرية صحية فازداداعجابي بها»(٤٦) .

وهذا الالتفات يطرد اطرادا رائعا في شعره كله، وهو حديث من الوجدان الذاتي وليس تقليدا مجردا، لأنه أحب الطبيعة المصرية وامتزجت بدمه ووجدانه، وتحدث عن الزهر والأشجار والغدران والبلابل ...الخ .

وما تحوى من ناس وطيور وأشجار وحيوان .

وحاكاه في هذا شعراء كثيرون مثل الصيرفي والسحرتي ومخيمر وعتيق، كما تابع شعراء «أبولو» أستاذهم في نشر قصائدهم في مجلة «أبولو»، ثم جمع ذلك الشعر في دواوين: ديوان محمود حسن اسماعيل (أغاني الكوخ) عام ١٩٣٤م، دليل على النشر، وقد تحدث فيه عن الريف والفلاح والعامل والطبيعة المصرية عامة.

وشعراء الشباب عرفوا تجربة التعبير عن الطبيعة والبيئة المصرية الواقعية من أبي شادى، ولذا لم يعد الشعر يعتمد على المحفوظ من التراث، ونقل الصور والاخيلة من

(٤٦) أنداء الفجر ص ١٢٤ .

البيئة الصحراوية التي لم يعرف الشاعر المصرى شأن كثير من الشعراء التقليديين، وقد نقل تجربته الحية من قريته، فالشاعر مخيمر يتحدث عن نهر قريته في قصيدته (نهر أبي الأخضر) كما تحدث عن (سماء الريف) والسحرتي يتحدث عن (شجرتي المحبوبة) و (لوحة النهر) و (ذكرى القرية) والوكيل يكتب (في الريف بعد عام)[٤٧].

وطرق أبو شادى أغراض الشعر الحديث وبرع فيها بل أبدع إبداعا رائعا ... وشعره في الطبيعة لم يسبقه شعر شوقي في وفرة النتاج، وفي قوة تجاوبه مع الطبيعة، وهذا في ديوانه «فوق العباب» و «عودة الراعي».

وشعره الغزلي يصدر عن عاطفة فياضة وهو مرآة للحب يجمع بين التصوف والرغبة الأكيدة، وترى ذلك في ديوانه «أنداء الفجر»، وأجمل قصائده الغزلية ثلاث: قصيدة «الفنان» ص ٢٦ ، و «الحمال العربيد» ص ٢٣، و «ليلة في المعبد» ص ٤١. وهي جميعا بديوان: «أطياف الربيع».

وشعره الوطني والاجتماعي لا يقل شأنا عن الطبيعة، ويتميز بالبعد عن السياسة الحزبية والعمل من أجل الوطن واستقلاله.

ويتضح ذلك في قصيدته «العزلة.. ص ٦٨ من ديوان الشعلة.

ويعد ديوانه كنزا لمن يرغب في معرفة سماته الجوهرية من النزعة التصوفية والثبات على الحق، ودفع الظلم عن الفرد والجماعة والتفاني في ذلك.

وقد اقتدى به كما أشرنا من قبل تلاميذه الذين تأثروابمذهبه الجديد وساروا على نهجه ...

---

(٤٧) الزورق الحالم ص ٩٥.

رأى الدسوقي في نسبة أنداء الفجر إلى أبي شادى

والـــرد عليـــه

أصدر أبو شادى دواوين بعد «أنداء الفجر» سنة ١٩١٠، مثل زينب ١٩٢٤م، فوق العباب ١٩٣٥م.

كما أنشأ جماعات أدبية مثل: ندوة الثقافة، وتشتمل:

أ - رابطة الأدب الجديد.

ب - جماعة الأدب المصرى.

جـ - جمعية أبولـو.

د - ورابطة مملكة النحل، جمعية الصناعة الزراعية...

وقد شك الكاتب الأديب الاستاذ عبدالعزيز الدسوقي: فى صدور ديـوانه الأول «أنداء الفجر» الذى أصدره أبو شادى عام ١٩١٠م فيقول الدسوقي: «بدأت أتشكك في أن هذا الديوان صدر عام١٩١٠م، وقوى هذا الشك في نفسي أن الطبعة الأولى التي صدرت في ١٩١٠ غير موجودة لا في دار الكتب ولا عند أحد أصدقاء أبي شادى حتى الذين كتبوا دراسات عنه، وإنّما الذى بين أيدينا من ديوان «أنداء الفجر «هو الطبعة الثانية، وقد صدرت عام ١٩٣٤م ، ولسنا ندرى أكان في حاجة في هذه الفترة إلى سبقه وريادته على هذه الصورة، أم أن هذا الديوان قد صدر فعلا في عام ١٩١٠م نفد واختفى من المكتبات(٤٨) .

(٤٨) جماعة أبولو وأثرها في الشعر الحديث ص ١٧٢ ومابعدها.

ويقول الدسوقي بعد هذا إن مؤلفات أبي شادي لم تشر إلى هذا الديوان، وحتى المجموعة الشعرية التي اختارها محمد صبحي باسم « شعر الوجدان» لم تشر إلى «أنداء الفجر» ولم نجد بيتا واحدا في هذه المجموعة المختارة من دواوين أبي شادي التي صدرت عام ١٩٢٥، وعدم وجود الديوان في المكتبات العامة مع حرص أبيْ شادي على إيداع كتبه فيها. والطبعة الثانية فيها قصيدة موجهة إلى سجين القلم «محمد فريد» واشتملت على مقدمة لديوان على الغاياتي باسم محمد فريد والتي تسببت في سجنة عام ١٩١١م. وهناك قصيدة أخرى عنوانها«بعد الفراق» فتحدث عن سفره إلى انجلترا عام ١٩١٢، ولكن الدسوقي يناقش شكه في صدق «أنداء الفجر» عام ١٩١٠م.

ونذكر أسبابا لإزالة هذا الشك:

أولا : صدر «أنداء الفجر» عام ١٩١٠م وهو تاريخ بعيد، وعدم وجود نسخة منه في دار الكتب مع اهتمام أبي شادي بإيداع دواوينه في المكتبات العامة ليس دليلا يؤيد شك الدسوقي، لأن أباشادي كان شابا صغيرا في هذا الوقت، ولعله لم يفطن إلى إيداع نسخة من ديوانه الأول في المكتبات العامة.

ثانيا : عدم حصول الدسوقي على نسخة ممن كتبوا دراسات عنه لا يؤكد شكه، فكل الذين كتبوا عن الديوان لم يكتبوا إلا دراساتهم التي نشرت في الطبعة الثانية عام ١٩٣٤م، ودراسة السحرتي التي نشرت في الطبعة الثانية تدل على أنه كان شابا صغيرا عام ١٩١٠م.

ثالثا : نشر أبي شادي لبعض القصائد المحددة التاريخ والتي يعلن تاريخها أن كتابتها كانت بعد تاريخ صدور الديوان لا ينفي وجوده أيضا.

فقد يضيف إلى شعر الديوان في طبعته الأولى بعض قصائد صباه التي تجمعها هذه الطبعة عندما طبع المرة الثانية سنة ١٩٣٤م، وكثير من الشعراء يفعلون هذا عندما يعيدون طبع دواوينهم، وهذا ينفي الشك عن قصيدة (إلى

سجين القلم محمد فريد) وقصيدة (بعد الفراق) وهما اللتان حيرتا الدسوقي فلم يعلل تأخر تاريخ كتابتهما عن تاريخ كتابة الديوان في الطبعة الأولى إلا هذا التعليل .

رابعا :وعلى الرغم من التفات الدسوقي إلى قصيدة مطران الخطية التي حيا فيها «أنداء الفجر» والتي نشرها أبو شادى في الطبعة الثانية (بالزنكوغراف)، وفي أسفلها توقيع مطران بكتابتها في ٢٠ من ديسمبر ١٩١٠م الاّ أنه لم يقتنع بصدور الديوان عام ١٩١٠م، باعتبار أن قصيدة مطران كتبت عند إصدار الديوان وإن لم يصدر فعلا في رأيه، ومّا يؤكد صدور الديوان في هذا التاريخ قصيدة حافظ الخطية التي حيّا فيها الديوان بقوله:

لك يازكـي من المحبة والثنا وكفاء قـــــــــــدرك
شعر التفـوق والجمـال العبقـرى جميـل شعـــــــــرك
صدحـت بلابلـه بسحـرك مثلما لذنـا بسحـــــــــرك
وترددت الأجيـال صدحتهـا كتـرديدى لـذكـــــــرك
بعث القريـض فروحـه روح علـى أنـداء فجـــــــرك

وقد نشرها «بالزنكوغراف» في كتابه (أصدقاء الحياة) الذى صدر عام ١٩٢٥م.

ومما يلفت النظر أن عبد العزيز الدسوقي الذى شك في وجود ديوان «أنداء الفجر» ولم يجد نسخة من الطبعة الأولى يقول في ثقة بعد البحث:

«بعد كل هذا نستطيع أن نقول إن هذا الديوان لم يصدر سنة ١٩١٠م على الراجح، وإذا كان قد صدر فنحن نجزم بأن هذا الذى بين أيدينا يختلف عن الطبعة الأولى وربّما عاد الشاعر إليه بالتثقيف والتهذيب وإضافة أشياء أخرى عليـه ليبدو شعره الأول ناضجا جميلا»[٤٩] .

(٤٩) جماعة أبولو وأثرها في الشعر الحديث ص ١٨٠.

ونتساءل كيف وصل الدسوقي إلى الجزم؟ ومن أخبره أن الذى بين أيدينا يختلف عن الطبعة الأولى؟ مادامت الطبعة الأولى مفقودة كما قرر مع عدم عثوره على نسخة منها مع بحثه الطويل، ويكرر الجزم مرة أخرى فيقول:

على أن هناك مقطوعة جديدة تجزم بإضافتها وهي إصدار الديوان، والتي يقول فيها إلى زينب:

ربع قرن مضى وهيهات تمضي   شعلة الحب عن وثوب وومض
لم أزل ذلك الفتي في جنوني   وفؤادى بنبضه أى نبض
ذكريات الهوى وأشباحه النشوى   أمامي في كل صحو وغمض

والأمر لا يحتاج إلى الجزم فقوله في القصيدة «ربع قرن مضى وهيهات - يوضح أن الأهواء جديدة، وأنه حينما طبع ديوانه عام ١٩٣٤م أهدى شعر صباه إلى حبيبته ولا يعقل أن يكون الإهداء هو إهداء الطبعة الأولى الصادرة سنة ١٩١٠م .. وإلاّ فمعنى قوله:

ربع قرن مضي وهيهات تمضي   شعلة الحب عن وثوب وومض

وهذا يدلنا على تميز شعره بكثرة الدراسات والمقدمات والخواتيم في دواوينه بقلمه وبأقلام أتباعه.

ويقول عبد العزيز الدسوقي أن شعر أبي شادى غير مألوف لدى القراء لاتجاهاته التجديدية، وهذه الدراسات تلقي الضوء على شعره حتى يكون في متناول أفهام القراء وأذواقهم وأنه يتطلع إلى اليوم الذى ينشر فيه دواوينه دون مقدمات أو دراسات[٥٠]

(٥٠) جماعة أبولو وأثرها في الشعر الحديث، ص ١٨١.

ومما لا شك فيه أننا نخالفه الرأى الذى حاول به تبرير كثرة هذه الدراسات وهي طموحه إلى مركز أدبي وإحساسه بالضياع أمام الشعراء المشهورين أمثال حافظ وشوقي وغيرهم وكثرة السهام النقدية التي وجهت إليه جعلته يسلك هذا المسلك، وبخاصة أن النقاد الكبار لم يلتفوا إلى شعر أبي شادى، وقد أرسل مجموعة من دواوينه إلى الدكتور طه حسين وهو يكتب مقالات «حديث الأربعاء» فلم يلتفت إليه ولم يهتم به ...

مناقشة الدكتور طه حسين في نقده على محمود طه وابراهيم ناجــي

وقد نقد الدكتور طه حسين اثنين من شعراء جماعة «أبولو» وهما الدكتور ابراهيم ناجي، وعلى محمود طه..

وتحدث عن حسنات على محمود طه ومساوئه، وقبل بعض قصائده وأنكر بعضها...

يقول الدكتور طه حسين عنه: شاعر مجيد حلو الأسلوب جزل اللفظ، وفي شعره موسيقى قلّما نظفر بها في كثير من شعرائنا المحدثين، وهو يجيد الوصف والتصوير - اذا وصف وصف في رشاقة وخفة، لا في تثاقل وإلحاح ... ومن عيوبه - كما يقول: أنه يسيء في القافية كثيرا ويخطيء في اللغة، ويجسّم مالا سبيل إلى تجسيمه، ويغلوا فى ذلك غلوا فاحشا(٥١) .

ولذا لم يرض الدكتور طه حسين عن قصيدة «ميلاد شاعر» لما وجد فيها من المبالغة، ورغب اليه أن يلغيها عند طبع ديوانه «الملاح التائه»، وأمّا قصيدته «غرفة الشاعر» ص ٢٨ فقد نالت رضا الشاعر..

ولو كان نقد طه حسين ذاتيا متذوقا لمـا كان لنا اعتراض على نقده، ولكنه عاد يناقض نفسه، إذ قال: إنه شاعر حقا، ولكنه مازال مبتدئا، وهو شاعر مجيد حقا، ولكنه في حاجة إلى العنايه باللغة وتعرف أسرارها ..

فهذا نقد متعارض لا يعطي فكرة واضحة عن الشاعر مع العلم بأن القطع التي نقدها ليست من أجود شعره .

---

(٥١) حديث الأربعاء ص ١٦٧ جـ ٣.

ومما لا شك فيه أن علي محمود طه شاعر وصّاف جيد، وشعره في استواء واحد فلا يحلق تحليقا بعيدا، كما أنه لا يهبط هبوطا عميقا غير أنه يستر عاطفته، ويكبح انفعاله الشعرى، ويميل إلى الاداء القوى الجزل، فوصفه فيه جيد دون مشاركة عواطفه إلا قليلا، وموسيقاه تشجي الأذن ولا تؤثر في القلب ألاّ قليلا.

وقصيدته «ميلاد شاعر» التي طلب منه حذفها عند طبع ديوانه «الملاح التائه» من أحسن القصائد الوصفية الرائعة نذكر منها أبياتا في وصف مشهد طبيعي:

وهنا جدول على صفحتيه ... يرقص الظل والسنا الوضاح
وعلى حافتيه قام يغنينا ... من الطير هاتف صداح
وفراش له من الزهر ألوان ومن رتق الشعاع جناح
رف في نشوة يناديه نوا ... ر وعطر من الشرى فواح
وهنا ربوة تلألأ فيها ... خضرة العشب والندى اللّماح
ونسيم كأنه النفس الحا ... ئر تصغي لهمسة الأرواح

وتعد هذه القطعة الشعرية من أجمل شعر الوصف لبراعة صورها السمعية والبصرية، وجمال الموسيقى الداخلية والخارجية فيها. وقد طلب منه الدكتور طه حسين حذفها - وهذا نوع من التعصب والهوى ...

وشعر على محمود محمد طه على كل حال يظهر فيه طابع الكبر، وتتجلى فيه الأناة .

وهذا ما يحول بينه وبين الإلهام الشعرى، ولو أنه ترك نفسه على سجيتها ولم ينظر كما يقول الدكتور بشر فارس إلى من سبقه من الشعراء، وحاسب قلمه على اللغة ، وترك المعاني المأثورة ، لكان لشعره شأن وأى شأن(٥٢)

---

(٥٢) جريدة البلاغ مايو ويونية ١٩٤٠ م للدكتور بشر فارس.

والدكتور طه حسين وفق في نقده « على محمود طه» في كثير من قصائده الاّ أنه لم يوفق في نقد الدكتور ابراهيم ناجي في ديوانه «وراء الغمام» فقد اقتصر على الصياغة من الجهة اللغوية والنحوية، دون النظر إلى جوهر الشعر وروحه، وما فيه من انفعال ... نعم تحدث الدكتور طه حسين عن بعض الحسنات لناجى الاّ أنه حاك حولها الضباب، فكان شبيها بمن يخلط المر بالحلو، وعلامة هذا قول الدكتور طه حسين: «ان ناجي شاعر مجيد، ولكنه لن يكون شاعرا جبارا، وناجى شاعر هين لين رقيق حلو الصوت عذب النفس خفيف الروح، قوى الجناح إلى حد ما(٥٣)

حقا قال ناجي شعر الحب الرقيق ولكنه ليس مسرفا في العمق، وشعره أشبه بموسيقى الفرقة كما يقول الغربيون، وقد وفق في الألفاظ التي اصطنعها، وفيما اتخذ من الأساليب، ومعانيه جيدة تصل أحيانا إلى الروعة، وإن كانت مبتذلة أحيانا، وهو على شيء من التكلف، ويحرص على إقامة الوزن أو القافية، وهو محتاج إلى العناية بلغته ...

والناقد قد يكون محقا في نقده للبعض دون غيره، ولكنه عند تطبيق الأحكام النقدية يجانبه التوفيق والذوق السليم، ويبدوا هذا واضحا في نقده لقصيدة «قلب راقصة» التي تعد من مفاخر الشعر الحديث، لم يأت فيها بجديد، وانّما هي كلام مألوف قد شبع منه الناس.

وينقدها الدكتور أبو شادى فيصفها بالروح الإنسانية والواقع أنها رائعة في العاطفة والانفعالات المتنوعة وجمال الصياغة وخفة الأسلوب، فقد وصف ناجي حالته فيها قبل دخول أحد المراقص وحالته فيه، وحال الراقصة في ألمها، والجمهور في سروره ومعرفته لحالتها النفسية، واختلاف نظرته عن نظرة الجمهور نحوها، فنظرته إكبار، حيث ظهرت امامه مطهرة بنار الصبر والألم ونقدم بعض أجزائها الذى يصف فيه حال الجمهور المتفرج:

فقدوا حجاهم حينما طربوا ودووا دوى البحر صخابا
فإذا استقروا لحظة صخبوا لا يملكون النفس إعجابا

(٥٣) حديث الأربعاء جـ ٣ ص ١٧١.

كما وصف شعوره عند رؤية الراقصة على المسرح فيقول:

من هاتـــه الحســـــناء ياعينـــــي السحـــــر كللــها وظللهــــــــا
كالطيـــر في غصـــن إلى غصـــن وثابـــة وثـــب الفيـــؤاد لهـــــــا

ويقول معبرا عن انتظاره للقياها:

حـــان اللقـــاء بغـــادتي وأنـــــــا أخشـــى سرابـــا خادعـــا منهــــــا
متلهفـــا أستبـــطيء الزمنــــــــــا وأظـــل أســـأل ساعتـــي عنهـــــا

ويقول عندما لمحها مشارفة للقائة:

من أنت يامـــن روحـــها اقتربـــــت منّي وخـــاطب دمعـــها روحــــــي
صبتـــه في كـــأس ومـــا سكبـــــت فيـــه سوى أنّـات مـــذبــــــوح

ويختم أبياته معبرا عن فراقها له:

تمضـــي وتجهـــل كيـــف أكبرهـــا اذ تختفـــي في حـــالك الظلـــم

وقد نقد هذه القصيدة الفريدة في العربية الدكتور طه حسين وتناول مطلعها بالنقد اللاذع:

أمســيت أشــكو الضيق والأيتــــا مستغرقـا في الفكـر والســــأم

فلا يجد نقدا في البيت الا قوله «ان الفكر لا يسأم» . وفي البيت الثاني.

مضيت لا أدرى إلى أيـــــن ومشيت حيث تجرني قدمـــي

فلم تعجبه عبارة «تجرني قدمي» لأن الانسان يجرّ قدمه وهي لا تجرَه ...

والعبارة تصوير شعرى رائع للسأمان المتحير الذى تجره قدمه لشرود فكره، ولذا يقال ان القدم هي المسيرة .

وعلى هذا النهج سار الدكتور طه حسين في نقد القصيدة المذكورة وغيرها متجاهلا مافي شعر ناجي من عاطفة متدفقة، وانفعالات وأسلوب جميل وموسيقى مؤثرة في النفس، وبعد هذا كله نقول ان نقد الدكتور طه حسين فيه تحامل على الدكتور ابراهيم ناجي وأدبه وقد نقده أبوشادى وغيره، ولم يكن هناك تحامل عليه لما له من المحاسن في نظم الشعر.

(مطران بين المؤيدين والمعارضين له)

ذكرنا فيما سبق الشعراء المجددين المتأثرين بمدرسة «أبولو» فنراهم يرجعون الفضل في هذا الاتجاه إلى مطران وزعامته لهم، ولذا يقول أبو شادى: إن أثر مطران في شعرى هو أثر عميق لأنه يرجع إلى طفولتى الأدبية ويصاحبني في جميع أدوار حياتى وإن كان استقلالي الأدبي متجليا الآن في أعمالي فهو في الوقت ذاته يمثل الأطراد الطبيعي للتعاليم الفنية التي تشربتها نفسي الصبية من ذلك الأستاذ العظيم، ومازالت تحرص عليها نفسي الكهلة الوفية ناظرة إلى أثار الصبا، وإلى معلمي الأول بحنان عميق.

وقال ناجي: إننا مدينون لخليل مطران بكثير من التوجيهات في شعرى العصرى، هو وضع البذور وفتح أعيننا للنور(٥٤) .

أمّا عبد العزيز الدسوقي فيقول في كتابه «جماعة أبولو وأثرها في الشعر الحديث ..إنني أنكر فضل مطران للحركة التجديدية وينسبها إلى جماعة الديوان للأسباب الآتية :

أولا : صعوبة شعر مطران فهو شعر (مركب لا يتسلل إلى النفوس في سهولة ويسر، ولا تذوقه القلوب عند النظرة الأولى، كما هو الحال في شعر شوقي الذى يشمل النفوس ويستولي على الألباب لأول وهلة، بل كان يحتاج إلى تأمل ونظر دقيقين حتى يتوصل إلى خصائصه ومنابع الجمال فيه، وهذا في نظرى من أول الأسباب التي تجعلني أقرر أن خليل مطران ليس قائد حركة التجديد(٥٥) .

(٥٤) أطياف الربيع (د).

(٥٥) جماعة أبولو وأثرها في الشعر الحديث ص ٧٠.

فإذا كانت هذه الصعوبة جعلته ينكر فضل مطران فلماذا لم يكن شوقي الذى كان شعره (يشمل النفوس ويستولي على الألباب) شاعرا مجددا؟ ومن يقصدهم الباحث بهذا التأثير؟ . وهل يريد قراء الشعر عامة؟، وهؤلاء بعيدون عن التأثير الأدبي لعدم إنتاجهم. ولو كان التأثير خاصا بالشعراء فهم بثقافتهم وذوقهم يقدرون على فهم هذا الشعر الصعب الذى لا يتسلل إلى النفوس في سهولة ويسر كما يقول...

ثانيا: أن دماثة[٥٦] خلق مطران ولين جانبه وأصالته النفسية هي التي جعلت النقاد يجاملونه ويبالغون في ريادته وتجديده. ثم التطاحن بين الأدباء والشعراء مّما جعل النقاد والشعراء يلوذون بكنف مطران الرقيق المهذب ويعقدون له اللواء.

ولسنا نرى سببا يدفع الشعراء والنقاد إلى كنف مطران مع فقره، وبعده عن المناصب الهامة والسلطة وعدم وجود أسباب للمجاملة.

ولا نجد أمرا يدعو الأدباء للالتفاف حوله، وماالذى يقدمه للأدباء الفارين إلى جانبه؟

ثالثا: أن مطران مسيحي، واللغة العربية لغة دينية، ومن يحاول الخروج عليها فإنّما يحارب الإسلام أو على الأقل يستهين به، وكان للشعر العربي نفس المنزلة، ولذلك ظل مطران حذرا في تجديده لم يحاول الخروج دفعة واحدة على تعاليم الحركة التقليدية[٥٧]» .

إنه تعليل غريب، فتجديد مطران لا صلة له باللغة وأصولها كما يقول هو في مقدمة ديوانه، ولو فرضنا أن المسيحية حالت بينه وبين التجديد مرة فماذا فعل الشعراء المسلمون؟ وهم كثيرون..

(٥٦) جماعة أبولو وأثر الشعر الحديث ص ٧١. (٥٧) المرجع السابق ص ٧٧.

إنني أقول غير هذا، وأقول إن مطران لم يكن مجددا لأنه مسيحي فقد تأمل الشعراء المسيحيون في اللغة العربية مثل شعراء المهجر وجميعهم مسيحيون، على أنها لغة تعبير لادين، وأمّا تحرج مطران وعدم خروجه بمذهب جديد دفعة واحدة، فهذا أمر طبيعي يلائم التطور الإنساني، وغير معقول أن يقطع صلته بتيار الشعر العربي، وهو مع تجديده في الصورة لم يهدف من يهاجمه بقوله إن شعره عصرى.

رابعا : قـرر الدسوقي أن مطران لم يقد حركة التجديد في شعرنا المعاصر، وانما قادها شكر المازني والعقاد، وقد ساعدتهم ظروف الحياة الاجتماعية وظروفهم النفسية، وهؤلاء من رواد الثقافة الانجليزية، ومطران كان متأثرا بالثقافة الفرنسية ومن المستبعد أن يؤثر فيهم تأثيرا مباشرا [٥٨]..

والواقع أن مطران أثر في الشعراء المعاصرين في الفكرة والصورة والخيال والوحدة العضوية واختيار الألفاظ الموحية ، وقد اعترف بذلك أبو شادى في ديوانه «أنداء الفجر» مع ثقافته الفرنسية، وصلته الطيبة بشوقي وحافظ ، ويؤكد هذا اعتراف جيل من الشعراء بأثر مطران في شعرهم، ومن هؤلاء : أبو شادى وناجي ورامي والوكيل، ومن لم يتأثر به مباشرة تأثر بأدب تلاميذه .

-(أقرأ ص ٧٠٢ من مجلة أبولو عدد مارس ١٩٣٣م .

(٥٨) المرجع السابق ص ٧٩.

(أثر كل من أبولو وجماعة الديوان)

حقا لقد استطاعت جماعة «أبولو» أن تنشىء نوعا جديدا من الشعر لم يسبقها أحد إليه وهو شعر الطبيعة والتأثر به، ونشرته في مجلتها ثلاث سنوات أو أربع سنوات منذ ظهرت جمعية «أبولو» ثم جمع هذا الشعر في دواوين صدرت ما بين ١٩٣٢م و ١٩٣٥ وأغلبها نشر في عام ١٩٣٤م، وجميعها لشعراء «أبولو» ما عدا «الشاطئ المجهول»

وهذا يؤكد أثر أبي شادى في الشباب الذى التف حوله وتأثر باتجاهاته الشعرية، و نهل من منابعه الشعرية الفياضة .

وأشرنا فيا سبق إلى أن جمعية «أبولو» مدرسة شعرية لها اتجاهها الذى عرفت به وهو الاتجاه الرومانسي الذى جمع أبناء هذه الجماعة حول رائدها أبي شادى، ويجب أن نقرر أى المدرستين أكثر تأثيرا في الحركة الشعرية، جماعة الديوان أم مدرسة «أبولو» .

و يقرر الدكتور محمد مندور أن حركة الديوان لم ترب أتباعا وتلاميذ ، ولم تخلق ، أى توجد، مدرسة شعرية وذلك لأن المازني هجر الشعر أما العقاد فلم يواته طبعه على الرغم من مواصلة إخراج الدواوين لتكوين مدرسة شعرية [٥٩]

ولا شك أن الدعوة النقدية التي تقوم بهدم القديم وإظهار المبدأ الجديد لاتجد الطريق أمامها ميسرا والنفوس مهيأة لتقبل الجديد بسهولة، بل لا بد من وقت لتستقر هذه الدعوات في النفوس حتى توثر في الشعراء بعد ذلك، علاوة على ذلك فشل زعيمي هذه الدعوة في إعطاء نموذج شعرى قوى يلفت النظر لأصالته وجدته، (وكانت مواهبها النقدية أكبر من مواهبها الشعرية) تأكدنا من صدق ما قالة الدكتور محمد مندور .

---

(٥٩) محاضرات في الشعر المصرى بعد شوقي ص ٢.

والتطور الطبيعي للشعر المعاصر جعل «أبولو» تحقق ما أرادته جماعة الديوان، وهذا التطور يلائم التطور الاجتماعي والثقافي الذى كان يزداد نموا كلما توثق اتصالنا بأوربا وبحضارتها وبذلك ظهر التجديد في الشعر العربي بالربط بين الحضارتين العربية والغربية.

وشعراء مدرسة «أبولو» أكدوا اتصالهم بالثقافة الانجليزية والأدب الأوربي عامة .

كما كان أبو شادى رائدها على اتصال بهذا الأدب منذ صباه وتأثر بالأدب الانجليزى والغربي في فترة إقامته بها ..

وجماعة أبولو» أثرت في الشباب تأثيرا عظيما في جيل كامل من الشعراء، وانتقل هذا التأثر إلى عدد كبير من شباب الشعراء حتى اليوم يسيرون على هذا المنهج في نظم الشعر المعاصر .

(والحمد لله الذى هدانا لهذا وماكنا لنهتدى لولا أن هدانا الله)

مصادر هذا البحث

أولا : المجــلات

١ - مجلة أبولو من سنة ١٩٣٢ - الى سنة ١٩٣٤م .
٢ - مجلة الأسبوع ١٩٣٤م .
٣ - جريدة الوادى .
٤ - جريدة البــلاغ ١٩٤٠م .

ثانيا : الدواوين الشعرية

١ - أنداء الفجر	أحمد زكي أبوشادى	١٩٣٤م
٢ - أطياف الربيع	أحمد زكي أبوشادى	١٩٣٤م
٣ - أزهار الذكرى	مصطفي السحرتي	١٩٣٤م
٤ - الينبوع	أحمد زكي أبوشادى	١٩٣٤م
٥ - الألحان الضائعة	حسن كامل الصيرفي	١٩٣٤م
٦ - الزورق الحالم	مختار الوكيل	١٩٣٤م
٧ - الشفق الباكي	احمد زكي أبوشادى	١٩٢٦م
٨ - المنتخــب	أحمد زكي أبو شادى	١٩٢٦م
٩ - ديوان المازني	جـ ١ - القاهرة	١٩١٣م
١٠ - ديوان صالح جودت	المطبعة المصرية	١٩٣٤م
١١ - ذكريات شباب	د . عبد القادر القط	١٩٥٨ م
١٢ - وحي الأربعين	عباس محمود العقاد	١٩٣٣م
١٣ - وراء الغمام	ابراهيم ناجي	١٩٣٤م .

ثالثا: الكتب الأدبية

١ - أحمد زكي أبوشادى مسرح الأدب القاهرة .
٢ - جورجي زيدان تاريخ آداب اللغة العربية - ١٩١٤م القاهرة .
٣ - حبيب الزحلاوى أدباء معاصرون ١٩٣٥ م القاهرة
٤ - د. شوقي ضيف الأدب العربي المعاصر في مصر ١٩٥٧م المعارف
٥ - صالح جودت ناجي - حياته وشعره ١٩٦٠ م/ دار النشر
٦ - د. طـه حسـين حديث الأربعاء ١٩٥١ م القاهـرة
٧ - عبد العزيز الدسوقي جماعة أبولو وأثرها في الشعر الحديث ١٩٧١م
٨ - عباس محمود العقاد جماعة الديوان . القاهـرة
٩ - د. محمد غنيمي هلال الرومانتيكية - مطبعة الرسالة - القاهرة
١٠ - د . محمد مندور محاضرات في الشعر المصرى بعد شوقي ١٩٥٧م .
١١ - د . محمد منـدور فنّ الشعر - دار القلم - القاهرة
١٢ - مختار الوكيل رواد الشعر الحديث ١٩٣٤م